بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

بقلم / سماحة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى

الحمد لله، والصلاة والسلام على إمامنا وأسوتنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد...

فهذا هو الجزء الخامس من خطب الجمعة، التى حرص الأخ العالم الفاضل الشيخ خالد السعد على جمعها من مظانها، وإفراغها من المسجل على الورق، والتعليق عليها بما يناسب، كما رأينا فى الأجزاء الأربعة الماضية التى تلقاها المسلمون بالرضا والقبول.

وتحويل الخطب المسموعة إلى خطب مقروءة، إنما تم بفضل هذا الجهاز الذى وفق الله الإنسان إلى اختراعه فى هذا العصر، وهو (المسجل) الذى حرمه من كان قبلنا، ومنه تنقل الخطب إلى الورق لتقرأ. وكم كنا نتمنى لو نستمع إلى خطباء مشاهير، أثروا فى عقول الأمة وقلوبها فى عصرهم مثل حسن البنا رحمه الله فى مصر، ومصطفى السباعى فى سورية. ولكن الله تعالى منّ علينا بهذه الآلة النافعة التى تستحق منا الشكر.

وبهذه المناسبة أقول: إننى ظللت عقودا من حياتى أخطب ولا أسجل خطبى، ولا يسجلها لى أحد، لعدم اهتمام الناس بالتسجيل، برغم أن أحد الإخوة السوريين كان معنا فى قطر، قال لإخوانه: أنصحكم أن تسجلوا خطب الشيخ (القرضاوى) ومحاضراته ودروسه، فقد أهملنا تسجيل تراث الشيخ السباعى، واليوم نندم على ذلك أشد الندم، ولات ساعة مندم.

ثم جاء زمان، كانت تسجل فيه خطبى ولا أهتم بالاحتفاظ بنسخ منها،

وقد قدر لى أن أخطب فى قارات الدنيا كلها، خطبت فى إفريقيا: فى مصر والسودان وليبيا والجزائر والمغرب ونيجيريا. وخطبت فى آسيا: فى قطر، والبحرين، والكويت، والإمارات، وفلسطين، والأردن، ولبنان، وباكستان، والهند وبنجلاديش وماليزيا وإندونيسيا وهونج كونج وسنغافورة والفلبين وكوريا الجنوبية واليابان، وخطبت فى أوربا: فى إنجلترا وألمانيا وفرنسا وسويسرا، وأيرلندا، والبوسنة، وإيطاليا، وأسبانيا، والسويد وغيرها من بلدان أوربا، وفى عدد من مدن أمريكا وكندا. وفى البرازيل من أمريكا الجنوبية، وفى استراليا: فى سدنى وملبورن.

وأنا أنتهز هذه الفرصة لأطلب من الإخوة الأحبة الذين سجلوا خطبى فى تلك البلاد، أو أتيح لهم أن يقتنوها: أن يتكرموا علىَّ بإرسال نسخة منها، للاحتفاظ بها، أو إفراغها على الورق. لتضاف إلى هذه الأجزاء المنشورة، وجزاهم الله خيرا.

ويمتاز هذا الجزء بأن معظم خطبه تدور حول محور واحد، هو أم القضايا، وأولى القضايا، وكبرى القضايا: قضية العرب والمسلمين الأولى: قضية أرض النبوات، وأرض الإسراء والمعراج، والقبلة الأولى للمسلمين، وهى القضية التى شغلت الأمة منذ عقود من السنين بالاغتصاب الصهيونى لها، وإقامة دولته على أرضها، وإخراج شعبها من ديارة، وتشتيته فى الآفاق بمساندة من الغرب كله، ابتداء بالإنكليز، وانتهاء بالأمريكان.

ومنذ وعيت على الحياة: وجدت هذه القضية حية حاضرة، منذ ثورة الشعب الفلسطينى سنة ١٩٣٦ التى شلّت الحياة المدنية تماما، وأعيت الانتداب البريطانى، لولا تدخل حكام العرب فى إطفاء شعلتها. ولا تزال هذه القضية إلى اليوم، المشعل والمفجّر الذى يحرك الأمة من جاكرتا إلى الرباط، ويجمع أفكارها، وإرادتها، ويلهب أحاسيسها، ويلهم دعاتها وخطباءها: أن يقولوا ويعبروا عن ضمير الأمة، فيهزوا أعواد المنابر، ويلهبوا المشاعل والمشاعر.

وقد أتيح لى خلال ستين عاما من عمرى: أن يجندنى الله لقضية فلسطين، أنافح عن حقها بلسانى وقلمى، منذ كنت طالبا بالقسم الابتدائى من معهد

طنطا الدينى إلى اليوم، وسأظل كذلك إن شاء الله ما دام فىّ عرق ينبض، وعين تطرف.

والناس يسمون هذا النوع من الخطب خطبا سياسية، وأنا لا أفرق بين ما يسمونه خطبا سياسية، وما يسمونه خطبا دينية. المهم أن تكون كلها خطبا إسلامية، من الإسلام تستمد، وعلى الإسلام تعتمد، وإلى الإسلام تهدف، سواء سماها الناس: سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم دينية. فالإسلام يشمل الجميع.

والعلمانيون الذين يسمون هذه الخطب سياسية، يستنكرون على خطبائها: أنهم يخلطون الدين بالسياسة، والسياسة لا يجوز أن تدخل فى الدين، وقد قال قائلهم يوما: لا دين فى السياسة، ولا سياسة فى الدين.

كأنما يريد هؤلاء أن يحتكروا السياسة والحديث فى السياسة لهم، حتى تكون بمعزل عن الإيمان والقيم والأخلاق، فإذا تكلم المؤمنون فى السياسة قالوا ما قالوا.

ولا يستطيع عالم أو داعية أن يتخلى عن الكلام فى السياسة، أى فى الأمر العام للجماعة والأمة، لأن هذا من النصيحة فى الدين، والتواصى بالحق والصبر، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وكلها فرائض إسلامية أساسية لا خلاف عليها.

والعجيب أن غير المسلمين قد اهتموا بهذه الخطب اهتماما بالغا، وأوسعوها بحثا وتحليلا، وألفوا الرسائل والكتب فى شأنها، ومدى تأثيرها على الجماهير المسلمة.

وقد رأينا الصهاينة يجأرون بالشكوى من هذه الخطب التى تتميز بالتوعية والحماسة للجماهير المسلمة. وفى سنة ٢٠٠٠ نشرت الصحف الخليجية – نقلا عن صحف إسرائيلية – أن كبير الحاخامات فى الدولة الصهيونية: ندد بعلماء الدين المسلمين، وقال: إنهم الذين يقومون بالدور الأكبر فى التحريض على إسرائيل، ومعاداة إسرائيل، ومقاومة إسرائيل، تحت راية الجهاد فى سبيل الله!

قال الحاخام الأكبر: ويأتى على رأس هؤلاء جميعا: القرضاوى، فهو الأشد

تحريضا، والأقوى تأثيرا، والأوسع نفوذا، بما له من شعبية واسعة بين المسلمين، وقبول عام وخصوصا بين الشباب، وبما أتيح له من إمكانات فى تعميم خطبه ومحاضراته وبرامجه عن طريق شاشات التليفزيون التى فتحت أبوابها له.

ولا غرو أن نشرت الصحف أيضا: أن الموساد هدد هؤلاء المحرضين – وأولهم فلان – بأن ذراعه طويلة لا تعجز عن إسكاتهم.

وقبل ذلك ظهر فى أمريكا كتاب يحذر من دعاة المسلمين الذين يحرضون على الجهاد، ويربط هذا الجهاد بالإرهاب. وذكر عددا من علماء المسلمين ودعاتهم اعتبرهم خطرا على أمريكا، ونقل مقتطفات من كلامهم قطعها عن سياقها وسباقها، ليستخدمها فى هدفه الذى يريد.

واحتج الإخوة فى المجالس والمراكز والمؤسسات الإسلامية فى أمريكا على هذا الكتاب، وقالوا: إنه ذكر فيه رجالا يعتبرون من رموز الاعتدال والوسطية، بشهادة كل من عرفهم، وقرأ كتبهم، وتتبع محاضراتهم: مثل الشيخ يوسف القرضاوى والشيخ راشد الغنوشى.

وقد تجلى أثر ذلك عمليا فى السياسة الأمريكية، حيث أبلغتنى سفارة أمريكا فى قطر – عن طريق وزير الدولة للشئون الخارجية القطرية – بأن التأشيرة التى أحملها فى جوازى القطرى غير صالحة لأن أدخل بها أمريكا، مع أنها تأشيرة لمدة عشر سنوات، لم يمض منها ثلاث.

ولم تستسلم الخارجية القطرية لما طلبته الخارجية الأمريكية، وناقشتهم فى أسباب ذلك، وتبين أن أساس ذلك كله قضية فلسطين، وموقفى من اليهود المغتصبين للأرض، المشردين لأهلها، المتربصين بالمسجد الأقصى، وتأييدى للعمليات الاستشهادية، ومساندتى للمقاومة الإسلامية (حماس والجهاد).

وقد علمت أن السفارة الأمريكية بالدوحة، تتبع خطبى، وتسجلها وتحللها، وتبعث بها إلى الجهات المعنية فى واشنطن، وحين قابلتنى السكرتيرة الأولى للسفارة، والقائمة بأعمال السفير – وهى تجيد العربية – أخبرتنى أنها تتابع خطبى يوم الجمعة، وبرنامجى يوم الأحد فى الجزيرة (الشريعة والحياة)!

ولقد أخبرنى الإخوة فى وزارة الأوقاف القطرية: أن السفارة طلبت منهم

خطبة معينة، كنت خطبتها بعد غيبة عن المنبر، فلم يتنبهوا لها، فطلبوها من الأوقاف.

وعندما كنت أخطب فى ساحة (قصر عابدين) بالقاهرة فى منتصف أواخر السبعينات (سنة ٧٧) من القرن الماضى: كنت أرى مصورين أجانب يصورون الصلاة والخطبة، ولا نعلم عنهم شيئا، وخصوصا آخر خطبة خطبتها فى ذلك الميدان، وكان الذين حضروها لا يقل عددهم عن نصف مليون من البشر، امتلأت بهم الساحة، وكل الشوارع الموصلة إليها من الجهات الأربع، وكان هذا التجمع يعبر عن قوة الصحوة الإسلامية وامتدادها، وهو ما لفت الأنظار إليها، وجلب الأخطار عليها.

وحين وقعت الواقعة، وأصدر الرئيس السادات قراره، بوقف هذه الموجة الكاسحة، وأمر باعتقال كل رموز المعارضة من كل الفئات السياسية، دينية، ووطنية، يمينية ويسارية، ليبرالية وثورية: كنت فى ذلك الوقت فى أمريكا لحضور مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربى (المايا)، فى مدينة (بليمونت) وقد أخبرنا الإخوة بما حدث فى مصر من اعتقالات وتغيرات، ومنها: اعتقال الأستاذ عمر التلمسانى رحمه الله.

وقال أحد الإخوة السعوديين، وقد دعانا إلى الغداء عنده: بعد أقل من ساعة ستأتى النشرة: ويمكن أن نتابع الأخبار، ونعرف المزيد منها، ونسينا النشرة، ثم تذكر أحدنا فجأة، ففتحنا التلفاز، فإذا فيه صورة شيخ معمم يتكلم، فقال الإخوة: هذه صورتك، وإذا هى صورتى فى ميدان عابدين وأنا أخطب، ثم صورة أخرى وأنا أصلى والجماهير ساجدة، ثم صورة أخرى لأحد الشباب وهو الطالب حلمى الجزار (الدكتور بعد ذلك) أمير الجماعة الإسلامية فى جامعة القاهرة، ثم لقطة أخرى للشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله من مسجده الشهير، باعتباره أحد خطباء الصحوة الذين كان لهم تأثيرهم القوى والواسع، بأسلوبه المثير والمميز، وبأشرطته التى انتشرت فى مصر، وسائر بلاد المسلمين.

إنه ملف كامل عن الصحوة الإسلامية ورموزها والمؤثرين فيها، فكل شئ عند القوم مرصود، وكل ظاهرة تخضع للدراسة من متخصصين، يعملون وفق معايير علمية، كثيرا ما تدخل فيها الأهواء ككل عمل بشرى.

وقد نشرت صحيفة (الحياة) اللندنية أخيرا تحت عنوان :

« الهوية من منظور ديني » لطلال وهبة، قالت فيه :

صدر عن مركز الدراسات المسيحية – الإسلامية – في جامعة البلمند (في لبنان) كتاب جديد للباحث طلال وهبة، عنوانه (الهوية من منظور ديني) . يعالج المؤلف في الكتاب إحدى خطب الشيخ يوسف القرضاوي لمناسبة عيد الأضحى من زاوية السّنية . ويتألف الكتاب من أربعة فصول وخاتمة عنوانها : (الهوية الأحادية) أما الفصول الأربعة فهي : تراثية صنف النص، هوية الأفراد والجماعات في النص، من المقام إلى النص، من النص إلى المقام : إقناع الجمهور .

وجاء في تقديم الكاتب د . رضوان السيد للكتاب : « تستشرف الدراسة الجيدة التي وضعها طلال وهبة الواقع الجديد للخطاب الإسلامي، من خلال (دراسة حالة) هي خطبة طويلة للشيخ يوسف القرضاوي أواخر السبعينات، والقرضاوي ليس خطيبا فقط، بل هو كاتب لعشرات الكتب من السبعينات . ثم إنه أهم مفتي الشاشات التلفزيونية، ولا أعرف شخصية دينية سنّية لها هذا التأثير الديني والثقافي، ربما من أيام جمال الدين الأفغاني[1] .

وهذا الكتاب الذي صدر هنا في الشرق عن إحدى خطبي، وبني عليها دراسة كونت كتابا ذا فصول أربعة وخاتمة : يذكرني بكتاب آخر أطلعني عليه صديقنا الدكتور محمد مرسي عبد الله، مدير مركز الوثائق بالمجمع الثقافي بأبو ظبي، وقد دعاني إلى الغداء عنده منذ سنوات، ثم أراني كتابا مؤلفا باللغة الفرنسية، يتحدث عن (الصحوة الإسلامية) في مصر والعالم العربي، وعن أثر الخطاب الديني في توجيهها وتجميع القلوب حولها، وتحدث بصفة خاصة عن خطب العيد التي كانت تتم في ساحة عابدين، ويحضرها عشرات الألوف، وأحيانا مئات الألوف .

وقد قرأ عليّ الدكتور مرسي نصا مستفيضا من الكتاب، يتضمن فقرة طويلة استغرقت صفحات، من أول خطبة لي خطبتها في ميدان عابدين

---

(١) صحيفة (الحياة) لندن . العدد (١٤٥٧٥) الثلاثاء ١٨ / ٢ / ٢٠٠٣ م .

(أحسب أنها كانت سنة ١٩٧٧ عند زيارة السادات لإسرائيل لأول مرة)، حين سمعته تذكرت كلماتي التي ارتجلتها في حينها، هذه الفقرة تقول :

من أراد أن يعرف مصر على حقيقتها، فليأت إلى هذه الساحة، ولينظر هذا الشباب، الذي رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبالقرآن منهاجا، وبمحمد نبيا ورسولا .

مصر هي هذا الشباب المؤمن القوي، وليست مصر هي (شارع الهرم) وملاهي الليل، ومواطن العبث .

مصر التي حملت راية الإيمان طوال التاريخ، منذ عهد الفراعنة، إلى أن رضيت الإسلام لها دينا، وقاومت الصليبيين والتتار دفاعا عنه، إلى آخر هذه الفقرة، التي لم أعد أذكرها .

ومعنى هذا : أن القوم سجلوا الخطبة في حينها، ثم أفرغوها على الورق، وترجموها إلى الفرنسية، وطفقوا يدرسونها، ويحللون نصوصها .

وهذا كله يدلنا على أهمية المسجد ودوره في الحياة الإسلامية، وهذا واضح منذ عهد النبوة، فقد كان المسجد : جامعا للعبادة، وجامعة للعلم، ومنتدى للتعارف، وملتقى للتفاهم، وبرلمانا للتشاور [١] .

ولا زال المسجد تاريخيا يقوم بمهمته في الحفاظ على كيان الأمة ومقوماتها، وخصوصا في أوقات الأزمات ومدلهمات الخطوب، مثل أيام الزحف الصليبي، والهجوم التتري قديما، والغزو الاستعماري حديثا على الأمة .

وفي هذه الأيام – وأنا أكتب هذه المقدمة – بعد سقوط بغداد أمام الغزو الأمريكي البريطاني، وتعرض بغداد والمدن العراقية للسلب والنهب المنظم، والمؤيد من قبل الغزاة : لم يحافظ على الشعب العراقي، ويرده إلى فطرته ويعده إلى ضبط النفس، والوقوف أمام المجرمين واللصوص : غير المسجد .

وقد استطاع العلماء وأئمة المساجد أن يجمعوا الناس على كلمة سواء، وأن يعيد الناس باختيارهم المسروقات إلى المساجد .

---

(١) راجع : دور المسجد في كتابنا (العبادة في الإسلام) في حديثنا عن (الصلاة) وآثارها في الحياة .

ومن أجل هذا أقول: إن على أمتنا أن تهتم بخطب الجمعة، وأن تعين لها العلماء الأكفاء لها، القادرين على أن يقولوا ليقنعوا العقول، ويحركوا القلوب، العلماء الذين يعتمدون على العلم الموثق، والقول المحقق، النابع من محكم القرآن، ومن صحيح السنة، ومن ثوابت التاريخ، ومن وثيق العلم، ومن واقع الحياة الحق، بغير تهويل ولا تهوين.

وعلى الأمة أن تدع لهؤلاء العلماء: الحرية المسؤولة، ولا تقيدهم بأغلال وقيود، تجعل منهم مجرد أبواق للسلطة الحاكمة، لا للشريعة المنزلة، ولا للرسالة الحنيفية السمحة، التى جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ.

ولا زلت أذكر فى أوائل القرن العشرين كيف ابتليت مصر بهجمة تبشيرية تنصيرية غريبة، استغلت وجود الاحتلال لتحتمى به، وتنتشر فى القرى والمدن، ولكن حصيلتها كانت صفرا، أو ما يشبه الصفر، وقال رئيس الحملة كلمة يجب أن نعيها ونذكرها:

سيظل الإسلام فى مصر صخرة عاتية، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحى، ما دام للإسلام هذه الركائز الأربع: القرآن، والأزهر، وخطبة الجمعة الأسبوعية، ومؤتمر الحج السنوى للمسلمين.

وأود أن أنبه هنا على نقطة مهمة خاصة بهذا الجزء من الخطب، وهى: أن الخطب تدور - كلها أو جلها - حول موضوع واحد، ومن شأن ذلك: أن تتكرر بعض المعانى الأساسية ولا بد. وأرجو أن لا يزعج هذا القارئ الكريم. فإن التكرار أحيانا يقصد به التوكيد والتركيز على الأساسيات حتى تظل فى بؤرة الوعى والشعور دائما. ولعل هذا من أسرار التكرار فى قصص القرآن. على أن كل خطبة لا بد أن تشتمل على معان وأفكار جديدة.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وما توفيقنا إلا بالله.

الدوحة ربيع الآخر سنة ١٤٢٤ هـ
حزيران (يونيو) سنة ٢٠٠٣م

الفقير إليه تعالى
يوسف القرضاوى

OBEIKAN.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم: خالد السعد

أحمدك ربى وأستعينك، وأصلى وأسلم على خير خلقك، سيدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وبعد.

فهذا هو الجزء الخامس من هذه الخطب الطيّبة المباركة لسماحة شيخنا الإمام العلاّمة الأستاذ الدكتور / **يوسف بن عبد الله القرضاوى** حفظه الله ورعاه.

وقد تضمّن هذا الجزء - كما وعدت سلفًا - مجموعة من الخطب التى تدور موضوعاتها حول قضيّة الإسلام والمسلمين الكبرى فى هذا العصر، وهى قضية فلسطين وجهاد شعبها الباسل المغوار، وانتفاضته البطوليّة الصامدة.

لقد أكثر الشيخ الإمام حفظه الله من التنويه بقضيّة فلسطين فى خطبه ومقالاته وكتبه، فهى ليست قضيّة الفلسطينيين وحدهم، ولا العرب وحدهم، بل هى قضيّة المسلمين جميعا. ولا زال يؤكّد أنّه لا سبيل إلى تحرير فلسطين إلا بالإسلام، فهو مفتاح هذه الأمة الذى لا تتحرّك إلا به، ولا تُقاد إلا باسمه.

وقد كتب فى ذلك الشيخ مقالات ورسائل وفصولاً فى العديد من كتبه، أظهرها كتابه (القدس قضيّة كلّ مسلم) وكتاب (درس النكبة الثانية).. بل لا يكاد كتاب من كتبه الفكرية والدعويّة والأدبية يخلو من الحديث عن قضيّة فلسطين، أو الإشارة إليها، أو التذكير بها، أو الدعوة إلى مناصرتها والوقوف معها.

وليس بجديد على سماحة الشيخ الإمام أن تستحوذ قضية فلسطين على

OBEIKAN.COM

اهتماماته وأن تكون في مقدّمة شواغله ومن أكبر همومه، فمنذ أن كان طالباً بالمرحلة الابتدائية بالأزهر وهو مشغول بهذه القضية، يشارك في تسيير المظاهرات الطلابية، وإلقاء الخطب الحماسيّة، ونظم القصائد المعبرة، وتنظيم المهرجانات والمؤتمرات لنصرة هذه القضية.

ومنذ ذلك العهد وإلى اليوم نجد الشيخ حفظه الله بين الفينة والأخرى ينبرى منتصراً لانتفاضة الأقصى، ويجاهد بلسانه وقلمه العدو الصهيوني جهاداً كبيرا، حتى إن كبير الحاخامات في الكيان الصهيوني الغاصب، يتميز غيظا وغضبا على الشيخ، ويعتبره أكبر المحرضين ضد إسرائيل، ويخصه بمزيد من الهجوم.

ويتعرض سماحته لتهديدات مخابرات العدو الصهيوني (الموساد) الذين حسبوا أنّها ستفتّ في عضده، وتوهن من عزمه، فما يزيده ذلك - بحمد الله - إلاّ إصراراً وتصميماً على المضي في طريق الدعوة والجهاد، وتصديقًا بوعد الله الكريم: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧].

حفظ الله الشيخ الإمام يوسف القرضاوى، وأيّد به دينه وأمته، وأقر عينه وأعيننا جميعا بتحرير الأقصى وبانتصار الإسلام وظهوره على الأديان كلّها، آمين.

وصلّ اللهم وسلّم وبارك على نبيّك وآله وصحبه.

خالد السعد